

تقرير

شوقي عشقوتبي
lionbars@hotmail.comروسيا وإيران في سوريا:
توزيع أدوار أم افتراق مصالح؟

ادركت روسيا ان قرار الانسحاب الاميركي من سوريا يعني في الدرجة الاولى اخلاء الساحة السورية لها، وحصولها على تفويض اميركي مضمّر كي تنطلق في ملء الفراغ وترتيبات ما بعد الانسحاب، وفي تتويج عملية ادارة النفوذ والمصالح الاقليمية والدولية، بما فيها من توازنات وتناقضات

يضع هذا التطور روسيا امام مرحلة جديدة في سوريا، ويضع العلاقة التحالفية مع إيران امام اختبار هو الادق والاصعب منذ التدخل العسكري الروسي في سوريا.

الرئيس الروسي فلاديمير بوتين هو سيد اللعبة في سوريا من دون منازع، وهو الوحيد القادر على ادارة مرحلة التسوية السياسية بعدما انتهت الحرب العسكرية الى انتصار النظام السوري وبقيائه. تتحرك موسكو في ادارة الملف السوري ومرحلة الانتقال من الحرب الى التسوية، على ثلاثة خطوط متوازية وبشكل متزامن:



الرئيس الروسي سيد اللعبة في سوريا من دون منازع.

* الخط الاول: هو الخط الاسرائيلي الذي يشهد استعادة الزخم وعودة التنسيق والتعاون الامني في سوريا الى ما كان قبل ايلول الماضي (عندما تسببت تل ابيب باسقاط طائرة روسية). وقد حصلت زيارات متبادلة على مستويات رفيعة تم خلالها التباحث في مجمل الاوضاع في سوريا، وعلى رأسها التمرکز الإيراني، الى جانب تحسين منظومة الاتصالات بين الجيشين في الاجواء السورية. اهم ما تبلغته اسرائيل هو التزام روسيا بالحفاظ على الامن القومي الاسرائيلي، وان جاء مقرونا بالتزام روسي ثابت حماية نظام الرئيس السوري بشار الاسد. في مقابل تفهم المصالح الامنية الاسرائيلية في المنطقة الممتدة من جنوب دمشق وحتى الجولان، هناك قواعد مضبوطة ومدروسة بعناية لعدم الانزلاق في اتجاه الحرب المفتوحة التي ترفضها موسكو في المطلق.

* الخط الثاني: هو الخط التركي، ويتعلق بامن الشمال السوري وترتيباته. اذ لدى موسكو قلق بازاء الوضع الامني في منطقة ادلب التي تم الاتفاق سابقا على انشاء منطقة منزوعة السلاح فيها، واذا بها تحولت الى بؤرة للارهابيين بشكل

كما ادركت ان الوجود الإيراني يعوق اكثر من غيره تحويل الانتصار العسكري الى انجاز سياسي مقبول دوليا، ما يعني تأخير تمويل اعادة الاعمار الذي يربطه المجتمع الدولي بمستوى من التغيير السياسي تعارضه طهران. هذا الاهتزاز في التحالف، وهذا التنافر في المصالح، يخرج للمرة الاولى الى العلن، ولكنه لم يبدأ الان وانما بدأت عناصره تتكون وتتراكم منذ سنة،



اهداف الحرب تحققت والتباين ظهر مع بدء موسم القطف.

على المستوى التكتيكي لكنه معيب من الناحية الاستراتيجية. 2- وجهة النظر الثانية ترى ان الخلاف الروسي - الإيراني في سوريا سوف يتفاقم مع خمود المعارك وبدء موسم القطف، ليأخذ ابعادا حادة تفضي في نهاية المطاف الى تمكين طرف على حساب اخر في تحديد المصير السوري، ليس فقط لان قوتين نافذتين يصعب ان تتعايشا على ارض واحدة، وانما ايضا بسبب تباين شروط الطرفين ودوافعهما للتدخل في الشأن السوري وتعارض خططهما حول مستقبل البلاد.

ويرى اصحاب هذا الرأي ان ليس من مصلحة موسكو الذهاب بعيدا في تغطية سياسة طهران التوسعية، خاصة بعدما ادركت ان الوجود الإيراني في سوريا بات سببا للتوتر والتفكك داخليا، ولانزعاج اطراف اقليميين ودوليين في وقت ترتبط موسكو بتفاهمات مع الاميركيين والاوروبيين.

ان يكون الانسحاب الاميركي جزءا من اتفاق روسي - اميركي، وان يكون الجزء الاخر من هذا الاتفاق الانسحاب او الخروج الإيراني من سوريا. ذلك ان إيران تتبعت مسار الصفقة الاميركية - الروسية التي تعهدت فيها موسكو بتسوية تضمن مصالح اميركا وامن اسرائيل وتبعد إيران عن حدودها. لكن اسرائيل مدعومة من الولايات المتحدة ذهبت الى ابعد واكثر من ابعاد إيران عن حدودها، وطرح اخراج إيران من سوريا، او بتعبير ادق انهاء وجودها العسكري. لذا بدأت ترجمة هذا الهدف عمليا عبر غارات مركزة ومكثفة ضد المواقع والقواعد الإيرانية، بينما تجد إيران ان هامش الرد على هذه الغارات ضيق ومحدود جدا، في ظل غياب التغطية الروسية الجوية، لا بل في ظل انحياز روسيا الى اسرائيل وفتح المجال السوري لها مجددا.

لم يكن التنسيق الروسي مع اسرائيل هو الامر الوحيد الذي ضايق إيران واقلقها، بل يضاف الى ذلك:

- التنسيق الروسي المطرد مع تركيا الذي يضع إيران على هامش الاحداث في شمال سوريا. وكان هذا بدأ في ادلب عندما حال اتفاق سوتشي دون حصول عملية عسكرية ضد ادلب اعد لها الجيش السوري، بدعم من إيران وحزب الله لتحرير هذه المدينة بعد اكمال السيطرة على الغوطة ودرعا. ويتواصل الان في شرق الفرات حيث يجري تنسيق روسي - تركي في شأن ترتيبات ما بعد الانسحاب الاميركي، والمتأرجحة حتى الان بين المنطقة الامنة الحدودية واتفاق اضة (للعام 1988) الذي يعطي تركيا حق التدخل او الدخول الى الاراضي السورية. - التنسيق الروسي مع الدول العربية، وخصوصا الخليجية منها، لعودتها الى سوريا واعادة سوريا الى الجامعة العربية، مع ما يعنيه ذلك من تجديد الاعتراف بالرئيس الاسد والتسليم ببقاء نظامه. هذه العودة العربية التي تتم بتشجيع وتحريض من روسيا، موجهة في الدرجة الاولى ضد تركيا لاحتواء خطر توغلها في سوريا وتترك الشمال السوري، ولكنها موجهة ايضا ضد إيران للحد من نفوذها المتعظم في سوريا، ومن خلفية ان الدول الخليجية تراهن على ان روسيا مستعدة للمساومة على تحالفها مع إيران، وان لها مصلحة دولية. بعد قرار الانسحاب الاميركي من سوريا، شعر الإيرانيون بارتياح مشوب بالحذر وبهاجس